

عن خصوص امثال الاوامر واجتناب النواهي حتى تكون عملا جارحياً ، وإنّما هي معنى فى القلب يرجع فى جملته إلى تقدير العظمة الالهية ، وامتلاء النفس بها امتلاءً يدفع المؤمن إلى المسارعة ، وشدة الحرص والاحسان فى تحقيق أوامر الله وتشريعاته ، ويدفع به فى الوقت نفسه إلى انعام النظر وقوة التفكير فى ملكوت السموات والأرض لمعرفة أسرار الله فى كونه ، وسننه فى خلقه ، ثم الاتجاه إلى هذه الاسرار ، والعمل على اظهار رحمة الله فيها بعبادة ، والوقوف على السنن التى ربط بها بين الاسباب والمسببات ، بين السعادة وأسبابها ، والشقاء وأسبابه بين العلم وأسبابه ، والغنى وأسبابه ، والعزة وأسبابها... وهكذا إلى آخر ما تمليه على العاقل المفكر هذه السنن الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل ، والتى لا سعادة للانسان الا بتقديرها والعمل بمقتضاها . اذن ليست التقوى إمتثال الاوامر ، واجتناب النواهي ، إنّما هي ذلك المعنى القلبى الذى تفنى به الارادات الإنسانية فى ملكوت العظمة الالهية ، وهى الباعث على امثال الاوامر ، واجتناب النواهي ، وهى المحققة لاحسان فى طاعة الله ورسوله ، فهى المبدأ وهى المنتهى ، وهى الاولى وهى الآخرة .

ولعلنا - لو تتبعنا مواقع التقوى فى القرآن الكريم - نقف فى معناها على أسرار لا تفى الاقلام بتدوينها ، فلندع هذا الباب ، وقد ثقبنا منه نافذة صغيرة ينفذ منها شعاع على القلب المستعد للتقوى فيدرك معناها ، ويستشعر لذتها ، ويقف ثملا بعظمة الله كلما سمع قوله تعالى ((ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً)) ولنرجع إلى النداء .

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)) . وحسب القارئ منا فى الكلام على التقوى ما أسلفناه وما أشرنا إليه .

الوسيلة والمراد منها فى هذه الآية :

أما الوسيلة ، فقد قال الراغب : الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة ، وهى أخص من الوسيلة لتضمنها معنى الرغبة . قال تعالى ((و ابتغوا إليه الوسيلة)) وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى ، مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة ، وهى كالقربة... انتهى)) .